الحرباوي أو المنافق أو النفاق الاجتماعي.. آفة العصر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،

فإن من صور النفاق الاجتماعي الشائع في زماننا التلون في العلاقات وعدم الوضوح في المواقف والمبادئ بغرض الإفساد أو الانتفاع الشخصي، التلون بين الناس اصبح ظاهرة تهدد وحدة المجتمع بما تحمله من تخريب للقيم الدينية والإنسانية حتى ظهر مصطلح الحرباوي نسبة للحرباء وهذا المصطلح بدأ يأخذ قيم إيجابية عن العامة من خلال اطلاق تسميات جديدة عليه مثل (قد حاله أو شاطر أو وعلى مبدأ "انفشه وشوف ما أجحشه" أو "إن لم تكن منافقا أكلك المنافقون" أو "نفاق من أجل البقاء للحفاظ على لقمة عيشي" ، أو "فهلوية وبتلقطها عالطاير" أو السان الحلس الملس)

وقد وجدت هذه الصفة الذميمة في واقعنا في وظائفنا وأسواقنا وصحافتنا وقنواتنا وكثُر التلون والكذب في المواقف والأحاديث، وهذا سببه ضعف التدين وقلة الورع والفتنة بزينة الدنيا والغفلة عن الآخرة وقلة احترام حقوق المسلمين ولذلك تجد الموظف يعتدي على حق أخيه لأجل علاوة أو منصب أو انتداب، وتجده يظلم أخاه الموظف ليقف في صف المسؤول ليتقاسم معه مصلحة معينة أو يحصل على ترقية وهكذا للتلون صور ونماذج في كثير من المجالات والميادين والله المستعان.

لا شيء يعدل الصدق في حياة المسلم، سواء كان الصدق في الاعتقاد، أو في الأقوال والأفعال، ومن الخصال الحميدة أن يكون للإنسان موقف محدد تجاه الأشخاص والأحداث، ويكون ذا مبدأ واضح وهوية محددة ملامحها، ومن شر الخصال أن يكون الإنسان مخادعا عند افتراق الناس، يظهر لكل فريق أنه معهم، وهذا النوع من الناس أشبه بالمنافق وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الصفة الذميمة بقوله: «تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» (متفق عليه). وذو الوجهين هو الذي يُظهر للطائفة الأولى المحبة والمودة ويمتدح فعلهم ويقدح في فعل الطائفة الأخرى ويظهر مخالفتهم ثم يذهب للطائفة الأخرى ويظهر لهم المودة والمحبة والموافقة ويمتدح عملهم، وذو الوجهين يكون مع قوم على صفة ومع غيرهم على صفة أخرى؛ فإذا عاشر أهل الصلاح أظهر لهم الصلاح والتقوى والوقوف عند حدود الله، وإذا عاشر الفساق أظهر لهم الفجور والفواحش وتباهى بالسيئات؛ يستميل كلَ قومٍ بما يحبون لينال عندهم حظوة خلافًا للمؤمن الثابت على صفة واحدة.

وذو الوجهين منافق في العلاقات الاجتماعية، كاذب ومخادع في علاقاته ومبادئه، متلون في مواقفه ومشـــاعره ولذلك ثبت في صحيح البخاري قال ناس لابن عمر: "إنا لندخل إلى أمرائنا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم؟" فقال: "كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم".وقد ورد فيه حديث:

أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) : تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشد له كراهية وتجدون شر الناس ذا الوجهين

الـــذي يـــأتـــي هـــؤلاء بـــوجـــه ويـــأتـــي هـــؤلاء بـــوجـــه (رواه الـــبـــخـــاري ومســـــلـــم.
و في لفظ) : تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (البخاري.

وأصـــح ما قيل في تفســير ذي الوجهين هو المنافق كما قال النووي رحمه الله : (ذا الوجهين) هو المنافق الذي يســـعى بين الطـائفتين من المســـلمين فيـأتي كـلا بوجـه يختلف عمـا يـأتي بـه الآخر. وفعله هذا جعله من شر الخليقة، لأنه متملق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس، لأنه يأتي كل طائفة بما يرضـيها فيظهر لها أنه منها ومخالف لضـدها وصـنيعه نفاق ومحض كذب وخداع وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين وهي مداهنة محرمة.

ولـذي الـوجهين يـوم القيامـة عقوبـة شـديدة، جـاء بيانهـا فـي حـديث عمـار بـن ياسـر رضـي الله عنـه قـال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار) رواه أبو داود.

فقوله) : كان له يوم القيامة لسانان من نار (لأن الجزاء من جنس العمل، فكما كان له في الدنيا لسان مع كل طائفة على وجه الإفســاد، اســتحق هذا النوع من العقوبة، ولا يمكن لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الناس، لأن رجلا يسعى بالفساد بين الخلق، فينفث سموم شره وحسد قلبه بينهم، لا يرضيه وئام الناس واجتماعهم، رجل منافق ولئيم، وهذا ما قرره النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال): لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا (رواه البخاري ومسلم.
ويقول أيضـــاً: (أربعٌ من كنّ فيه كان منافقاً خالصـــاً، ومن كانت فيه خلّةٌ منهنّ كانت فيه خلّةٌ من نفاقٍ حتى يدعَها: إذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر).
وقال القرطبي: "إنما كان ذو الوجهين شـــرَ الناسِ لأن حاله حال المنافق إذ هو متملق بالباطل وبالكذب مدخل للفساد بين الناس". والمتلون ذو الوجهين يظهر لكل طائفة في وجه ليحقق مصالحه الشخصية وليس له شخصية ثابتة وليس له مبادئ أو قيم؛ مهزوم من الداخل نشـأ على الكذب والخداع والمراوغة كاذب اللهجة متأرجح يتمايل على حسب المصالح، محتقَر في نظر الرجال، أمرُه مكشوف عند أهلِ الفراسة والعقل.
وذو الوجهين من أهل الخيانة لا يُولى ولاية، ولا يؤتمن في مســـؤولية لأنه لا يقيم العدل والأمانة مع الآخرين ولذلك ورد في الأدب المفرد للبخاري قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينًا».
والمـؤمن الحـق لا يطبـع قلبـه علـى التلـون والنفـاق والكـذب بـل يكـون علـى صـفة ثابتـة ومبـدأ واضـح وموقـف لا يتغيـر ولا يتبـدل لأجـل عـرض الـدنيا ولا يضـمر السـوء بالمسـلمين حتـى مـع المخـالفين، أنـه صـادق اللهجـة ناصـح واضـح المواقـف والمشـاعر لا ينـافق ولا يخـادع فيظهـر وجهًـا وهـو يـبطن وجهًـا آخر.

شعر في النفاق

شعر على بن ابي طالب كرم الله وجهه

صُنِ النَفسَ وَاِحمِلها عَلى ما يزِينُها ... تَعِش سالِماً وَالقَولُ فيكَ جَميلُ

وَلا تُرِينَّ الناسَ إِلّا تَجَمُّلاً ... نَبا بِكَ دَهرٌ أَو جَفاكَ خَليلُ

وَإِن ضاقَ رِزقُ اليَومِ فَاِصبِر إِلى غَدٍ ... عَسى نَكَباتِ الدَهرِ عَنكَ تَزولُ

يَعِزُّ غَنِيُّ النَفسِ إِن قَلَّ مالُهُ ... ويَغنى غَنِيُّ المالِ وَهوَ ذَليلُ

وَلا خَيرَ في وِدِّ اِمرِئٍ مُتَلَوِّنٍ ... إِذا الريحُ مالَت مالَ حَيثُ تَميلُ

جَوادٌ إِذا اِستَغنَيتَ عَن أَخذِ مالِهِ ... وَعِندَ اِحتِمالِ الفَقرِ عَنكَ بَخيلُ

فَما أَكثَرَ الإِخوان حينَ تَعدّهُم ... وَلَكِنَهُم في النائِباتِ قَليلُ

وقال الشاعر أسامة سليم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ " فقلتُ :

كـثُرَت وجـوهُ الأكـثَرينَ مِـنَ الـوَرى ... إنّـي لَأَجهَلُ مَن عَلَيَّ و مَن مَعي

كـم زاعـمٍ فـي الناسِ أنّي خِلُّهُ ... أبـدى الـمَـوَدَّةَ ثُـمَّ دَبَّـرَ مَـصرَعي

دَجَلَ العَداوَةَ بالسَلامِ وكم وكم ... سَـحَرَ العُيونَ بما يَكيدُ ومَسمَعي

يـا صـاحبَ الـوَجهَينِ قَـولُ نَـبيِّنا ... فـيـكم يُـذيـبُ وَعـيـدُهُ قـلـباً يَـعـي

مـنـهم أعـوذُ بِنورِ وَجهِكَ خالِقي ... اكـبَـحْ أذاهـم عـن عِـبادِكَ وادفَـعِ

ما النفاق؟

آفة مرضية مستعصية؛ تنتشر اليوم في عصرنا كانتشار النار في الهشيم، تهدم البيوت تزور الحقائق. تقلب الباطل حقا والحق باطلاً، سلوك سلبي ينطوي على عدم الصدق إخفاء الحقيقة وإخفاء العواطف والأفكار والحالة الداخلية الحقيقية، حيث يتصرف الشخص بطريقة غير أخلاقية بسبب أنانيته ويظهرون المشاعر التي لا يشعرون بها حقًا، ويبررون ذلك بنواياهم الحسنة ودوافع أخلاقية عالية، مما يعني أن سلوك هذا الشخص سوف يتعارض مع قيمه ومواقفه.

يضع المنافق قناعًا يخفي نظرته للعالم ، ليس من المجتمع فحسب ، بل من نفسه ايضاً حيث يخفي نواياه ومشاعره الحقيقية وإخفاء عيوبه، مما يؤدي الى تدني احترامه الذاته ، وسببه الخوف من الرفض وسوء الفهم من جانب المجتمع

يعتقد المحلل النفسي سيجموند فرويد أن من حوله يميلون إلى النفاق ، لأن المجتمع يتميز بالتناقض وعدم اليقين. فإن النفاق هو نتيجة لمحاولة الحفاظ على التوازن وليس له ما يبرره دائمًا.

اكتشف ليون فيستنجر ، وهو عالم نفسي أمريكي ، أن المنافقين يشعرون بعدم الارتياح بسبب حقيقة أن العواطف الحقيقية وتلك التي يتم إظهارها لا تتزامن في المواقف المطلوبة .

شخصية المنافق والتحليل النفسي

يكشف التحليل النفسي عن شخصية المنافق؛ فيراها شخصية مريضة، منقسمة على نفسها متآمرة بطبيعتها، تظهر غير ما تبطن. تعمل في الظلام، وتثير الفتن والدسائس، وتستعين على ذلك بأساليب الاستخفاء والتبييت والتربص والتثبيط والفرقة، وشخصية المنافق هي؛ شخصية انتهازية لأن المنافق يلعب على حبلين، ويحاول أن يرضي فريقين متصارعين محاولاً خداعهما معاً، والاستفادة منهما معا... وهذا الموقف المذبذب هو الذي اتخذه المنافقون في كل زمان.

المنافق ليس أميناً مع نفسه، ولا مع الناس، فهو يكذب على نفسهِ ليرضي الناس، ويكذب على الناس ليخدعهم عن حقيقته.. والواقع أنه لا يخدعهم لأن أعماله لا تصدق أقواله، وهذا التعارض بين ما يقول وما يفعل هو الذي يكشف للناس حقيقته مهما حاول إخفاءها. فهو إذن؛ يخدع نفسه ولا يخدع الناس.

والنفاق حالة مرضية وعقدة نفسية، فإذا نظرنا إلى دوافع النفاق كثيرة منها الخوف أو الطمع أو الوصولية، ولكن هذه الأسباب هي الصورة الظاهرة **لأسباب نفسية داخلية منها**:

– انعدام الثقة في النفس أو ضعفها، ما يضطر المرء للقيام بالنفاق إما على أنه مجاملة أو على أنه ضرورة اجتماعية.

– الشعور بالنقص؛ وهذا من أخطر أنواع النفاق لأنه يقود المرء إلى استشعار العظمة في الآخرين، والإيمان؛ بأن النفاق لهم واجب اجتماعي.

– طموح المرء أكبر مما لديه من قدرات شخصية، الأمر الذي يدفعه إلى محاولة تحقيق مكاسب من خلال تلميع صور قادته، ومن هم أكبر منه على أمل أن ينظروا إليه بعين الإحسان ووضعه في مواضع عليا.

– عدم اقتناع المرء بوضعه ومكانته الاجتماعية أو المهنية.. مع ضحالة أو انحسار أو انعدام إمكانات تحسين هذا الوضع في الأفق القريب.

– الحقد أو الحسد أو حتى الغيرة، وهم من أكثر الناس نفاقاً أمام كل من يستشعرون القوة فيه والسطوة والهيبة.

وهنا؛ **فإن البنية الاجتماعية تمارس تأثيراً أيضاً في النفاق، فالعادات والتقاليد والأعراف والمستوى الحضاري للمجتمع عوامل تحدد مدى انتشار النفاق في كل مرحلة من مراحل المجتمع التاريخية.**

علامات النفاق في شخص

غالباً؛ ما يكون المنافق أكثر ميلاً لمبدأ العمل بأقل جهد ممكن، وهو ما يعني أنه مستعد للقيام بأي خيار يتطلب أداء عمل أقل، لذلك يلجأ للنفاق لأنه يسمح له بالظهور بأفضل شكل ممكن من بدون أن يكون عليه القيام بأي مجهود، وليس مضطرا للتمسك بالمبادئ والقيم ولا الوقوع تحت رحمة نوبات الضمير ، من علامات نفاقه :

- إشارات غير لفظية: ابتسامة غير مألوفة ، عيون زجاجية ، عضلات متوترة للوجه ، احمرارها.
- صوت غير طبيعي ، متعثرًا.
- تشعر بشكل حدسي بأن الشخص ينافق في كلماته.
- تغييراً حاداً في الموقف تجاه الشخص بعد حدث واحد.
- يميل هؤلاء الأفراد إلى انتقاد الآخرين من أجل التأكيد أنفسهم
- التباهي بالإنجازات. في الواقع يتكلمون أكثر ويعدون الكثير ويسعون إلى تحقيق ما وعدوا به.
- يثرثرون كثيرًا بدلاً من التعبير عن آرائهم مباشرة في العين
- يسعون جاهدين لتحقيق الانطباع الأكثر ملاءمة ، وجذب الانتباه.
- يحترمون الأشخاص المؤثرين فقط ، وليسوا معادلين لكل من حولهم.
- لا يساعدون إلا في ظل ظروف مواتية ؛ ولن تحصل على دعم منهم.

كيفية التعامل مع النفاق

يلقى النفاق قبولا اجتماعيا لأن الذي يشعر بالراحة والنشوة من النفاق مستعد أن يمارسه مع الآخرين وفي أحيان كثيرة؛ يعرف الناس أن الذي يواجهونه هو نفاق، ولكنهم يتقبلونه ويتجاوبون معه، من أجل تجاوز سمة الشخصية مثل النفاق ، من الضروري بناء قواعد الحياة ونظام ثابت للمبادئ. إذا تم بناء سلوك الفرد على أساس القيم، فسيكون لهذا الشخص سيطرة أكبر على كلامه وأفعاله ، وتجنب الأكاذيب ونقاط الضعف. لن يخجل الشخص الذي يتمتع باحترام الذات الكافي من وجهة نظره أو نظرته للعالم.

هل من الممكن التعامل مع النفاق؟ نعم ، إذا كان لديه دوافع للتغيير. كيف ؟

المجال المعرفي للتخلص من النفاق.

- يجب أن تثق بنفسك وليس الانحناء تحت توقعات المجتمع.
- يجب اتباع الإرشادات الأخلاقية والروحية الخاصة بك.
- تجنب إدانة المجتمع ومن الأفضل أن تساعد فقط بسبب قدراتك.

المسؤولية.

- ينشأ النفاق على أساس الخوف من آراء الآخرين. من الممكن التغلب عليها فقط عن طريق تعلم أن تكون مسؤولاً عن اختيارك اليومي بين الخير والشر.
- يجب أن نتذكر أن الأهداف والقيم والأولويات لكل فرد مختلفة ، وبالتالي لا يوجد شيء للخجل من البقاء مع فهمك للحياة في محادثة عامة.

تطوير الذات . يجب أن يكون لدى أي شخص مبادئ ثابتة لا تقبل التهاون. ويتحقق ذلك من خلال ضبط النفس الداخلي.

- كفاية احترام الذات. من السهل على الشخص الذي يحترم نفسه أن يحظى باحترام الآخرين.
- يكفي أن يكون واثقاً من نفسه.

النفاق بين التملق والمجاملة:

التملق؛ هو تقرب الشخص إلى الناس ولاسيـــــما ذوي السلـطة والثروة، كمدحهم بما ليس فيهم والتذلل لهم للحصـــول على هدف نفعي، والدافع النفســـي لنفاق التملق كما يذكر علماء النفس هو؛ الخوف والطمع، فالتملق النفسي والاجتماعي ينتشر بين الناس كالوباء في عصور الانحطاط.

وتملق أهل الســـلطان أخطر أنواع النفاق الاجتماعي؛ لأن بأيديهم الســـلطة والقوة، وتجعلهم أقرب للبطش والتجبر وهناك علاقة عضـــوية بين المجاملة المفرطة والنفاق الاجتماعي. وكما يقال؛ لا تبالغ في المجاملة حتى لا تسقط في بئر النفاق.

- ما يميز النفاق عن المجاملة هو النية ومبدأ السلوك، فعندما نمتدح شخصا، نحن لا نثمن عملا جيدا قام به، بل نريد إيصال رسالة ما إلى الممدوح لغاية.
- نحن نضطر أحيانا أن نجامل أشخاص عابرين في حياتنا، نجامل رجلا عجوزاً يناقشنا لأنه ربما يكون فقد ذاكرة بعض الأحداث، ولكن أن تتحول المجاملة إلى فعل يومي مع أشخاص نعمل معهم وجهاً لوجه على مدار الساعة، هنا يتعدى الأمر المجاملة، ويتحول لنفاق.
- والمجامل يظل صديقا مخلصا لمن جامله، أما المنافق فيخلع من ادعى صداقته له بعد أن يخرج من وظيفته، ويبتعد عن كرسيه.

لذلك الإفراط في المجاملة قد يدخل صاحبه في شبهة النفاق.

نقل بتصرف

المراجع :

- زهير شاكر؛ أستاذ علم النفس والموارد البشرية موسوعته (العلم والمعرفة والإبداع) الأساس النفسي للنفاق.
- خالد بن سعود البليهد عضو الجمعية العلمية السعودية للسنة
- الأيام السورية؛ بقلم: نهى شعبان
- صورة تعبيرية- المصدر: فلسطين أون لاين